إبريق
لفظ عربي فصيح

الشيخ محمد حسن آل ياسين

من الاوهام الشائعة التي تناقلها بعض رواة اللغة والتفسير قديما واقتحمت عددا من المعجمات والمؤلفات اللغوية : ما زعمه الزاعمون من كون لفظ (الإبريق) فارسيا معربا ، وإن نزل به الروح الامين ، ونطق به القرآن العربي المبين .

وكان من أبرز من سقط في هذا الوهم من المعجميين المشاهير (سيرا وراء أولئك غير المتثبتين) كل من ابن دريد [١] والجوهري [٢] ، ثم تلقف ذلك بعض من جاء بعدهما فرددوه في مصنفاتهم ، وفي مقدمتهم أبو منصور الجواليقي المتوفى سنة ٥٤٠ هجرية [٣] ، الذي أفرط في جمع امثال هذه الامزاعم وتلك الاقاويل ، فاودع في كتابه (المعرب) عددا غير قليل من الألفاظ العربية الفصيحة الواردة في القرآن المجيد أو الحديث المأثور أو الشعر المشهور أو المثل السائر . وقد حمله على إقحامها في المعرب ، عدم التروي والتدقيق ، والغفلة عن أبنية تلك الألفاظ وأوزانها ومعاني تلك الابنية ودلالاتها ، والإعراض عن دراسة كل واحد من تلك الألفاظ التي زعم تعريبها في ضوء ذلك كله .

---

(١) الجمهرة : ٣ / ٣٧٦ ، قال : (الابريق المعروف فارسي معرب) .

(٢) الصحاح / برق ، قال : (الأبريق واحد الأباريق فارسي معرب) .

(٣) المعرب : ٢٣ ، قال : (الأبريق فارسي معرب ن وترجمته من الفارسية أحد شيئين : إما أن يكون طريق الماء ؛ أو صب الماء على هينة ، وقد تكلمت به العرب قديما) .

لقد روى الجواليقي نفسه بسنده عن أبي عبيد انه قال : (سمعت أبا عبيدة يقول : من زعم ان في القرآن لسانا سوى العربية فقد أعظم على الله القول ، وأحتج بقوله تعالى : ﴿ إنا جعلناه قرآنا عربيا ﴾) (٤).

ثم روى عن ابي عبيد نفسه تعقيبه على ذلك بقوله : (ورُوي عن ابن عباس ومجاهد وعكرمة وغيرهم ، في أحرف كثيرة : انه من غير لسان العرب) [وذكر منها أباريق الواردة في سورة الواقعة / ١٨] ، وقال : (فهؤلاء اعلم بالتأويل من ابي عبيدة ... وكلاهما مصيب ... وذلك ان هذه الحروف بغير لسان العرب في الاصل ... ثم لفظت به العرب ... فصار عربيا بتعريبها اياه ، فهي عربية في هذه الحال أعجمية الأصل) (٥) .

وهكذا بدأت هذه المقولة بالانتشار ، وتعاقب نقل الرواة لها جيلا بعد جيل ، وأخذت تلك الاوهام طريقها الى المؤلفات القرآنية والمعجمات اللغوية .

وقد دلتنا الشواهد والاثار التي اكتشفت في العصر الاخير في اليمن على ان كثيرا من الألفاظ التي عزيت الى أصول غير عربية لأن المعنيين القدامى لم يكونوا يعرفوا أصلها الحقيقي ولم يقفوا على موطن انبثاقها واستعمالها الاول ، انما هي ألفاظ عربية كانت معروفة ومتداولة في اليمنية القديمة ، وقد رُقم بعضها فيما عثر عليه من الشواهد واللقى التي تحمل كتابات ذلك العصر ونصوصه .

وحسبنا من كل ذلك على سبيل المثال كلمة (التأريخ) التي اوردها بعض اللغويين قائلين : (ان التاريخ الذي يؤرخه الناس ليس بعربي محض ، وان المسلمين أخذوه عن أهل الكتاب) (٦) .

---

(٤) المعرب : ٤ .

(٥) المعرب : ٥ .

(٦) تهذيب الازهري : ٥٤٥/٧ والمعرب : ٨٩ ولسان العرب / ارخ .

وكل ذلك رجم بالغيب ووهم في وهم ، فان الفعل (وَرّخ) بمعنى التاريخ الذي يؤرخه الناس عربي اصيل ، وقد ورد في النصوص اليمنية القديمة (٧). وعلى فقس سواها .

والحق ان ما ورد مرويا عن بعض الاوائل الذين عنوا بالتفسير اللغوي للقرآن الكريم لم يكن ، بالدرجة المطلوبة في استيفاء الرواية وشروطها من حيث الصحة والدقة والوثاقة والاطمئنان ، فقد نقل عن الامام الشافعي انه قال : (لم يثبت عن ابن عباس فسي التفسير الا شبيه بمائة حديث) (٨) مع ان المتداول من روايات ابن عباس يُعد ُبالالاف لا المئات ، كذلك روى السيوطي عن العلماء المحققين طعنهم بأكثر أسانيد الرواية عن ابن عباس ،وأعلنوا أن أوهى تلك الطرق طريق الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس ، فإن انضم اليها محمد بن مروان السدي الصغير فهي سلسلة الكذب (٩) ، ولذلك جزم الدكتور صبحي الصالح : بأن الناس (قد تزيدوا في الرواية عن ابن عباس ، وتجرأ بعضهم على الوضع عليه والدس في كلامه) (١٠) .

أما عكرمة بالخصوص – وقد عده أبو عبيد أعلم بالتأويل من أبي عبيدة كما أسلفنا نقله – فهو غير موثوق الرواية عند العلماء ، وقد اشتهر بالكذب على مولاه ابن عباس حتى أصبح مضرب المثل في كذب الموالي على أسيادهم (١١) .

وبهذا كله يتجلى ان ادعاء أبي عبيد في حق اولئك الرواة في التفسير بأنهم الأعلم بالتأويل ادعاء أملاه حسن الظن وصفاء النية ، ولكنه عار عن الدليل ، بل ربما كان الدليل على خلاف ذلك تماما – كما تقدمت الاشارة اليه ، بما لا مجال للتطويل في بيانه في هذا العرض الموجز .

---

(٧) المعجم السبي : ١/ ١٦٢ .
(٨) الاتقان : ٣٢٢/٢ .
(٩) الاتقان : ٣٢١/٢-٣٢٢ .
(١٠) مباحث في علوم القرآن : ٢٩٠ .
(١١) طبقات ابن سعد – طبعة ليدن - : ٥/ ١٠٠ و٢١٤ ومعجم الادباء : ١٢ / ١٨٤-١٩٠ .

ان الذي أثار انتباهي الى هذا الموضوع اخيرا ؛ فحملني على تحرير هـذه السطور ما قرأته في بحث منشور في مجلة مجمع اللغة العربية الاردني (العـــدد ٤٨ ن السنة ١٩) عنوانه (إسهام الأسدي في الكشف عن المفردات العربية فـي اللغات البلقانية) ، جاء فيه قول كاتب البحث الدكتور محمد الارناؤوط (فـي ص ٢١٨) : (ابريق : من العربية عن الفارسية ، وتخلى الفرس عن لفظه الفارسـي .. الى آخر الكلامه) .

وعجبت كيف ثبت للكاتب المذكور – على وجه الجزم واليقيـــن – أن هـذا اللفظ غير أصيل في العربية ، وأنه قد انتقل اليها من الفارسية ، وكيف صح لديـه ذلك فأصدر هذه الفتوى بضرس قاطع وبلا تردد أو تشكيك ؟ ! .

ورجح لدي – والفضل للباعث عليه وهو الدكتور الارناؤوط – أن أكتب هـذا التعليق أو التعقيب ؛ تبيانا للأمر وكشفا للحقيقة وإزالة للبـــس ، فـأقول – وبـالله التوفيق – : لابد لنا بادىء بدء من الرجوع الــى المعجمـات اللغويـة المعنيـة بالألفاظ ومعانيها ؛ للوقوف على جذر هذه الكلمة ومشـتقاتها المتعـددة ، وعلـى مايمكن أن يستنبط من مجموع ذلك من معنى أساس لأصل الكلمة الـذي يشـكل الاطار المشترك الجامع لتلك المشتقات . قال الخليل بن أحمد ومن روى عنه :

البرق : وميض السحاب ، وبرق يبرق بروقا ، وأبرق لغة ..

والبارقة : سحاب يبرق وكل شيء يتلألأ فهو بارق . ويقال للسيوف : بوارق .

والأباريق : جمع إبريق . وبرق بعينه تبريقا : اذا لألأها من شدة النظر [١٢].

وقال ابن دريد :

البرق معروف ، والجمع البروق .. والسحابة بارقة ، والجمع بوارق . وســميت السيوف بارقة وبوارق تشبيها بالبرق .. ويقال : برقت السـماء برقـا . ورجـل برقان : اذا كان براق البدن .. وامرأة براقة الجسم : أي صافيته [١٣].

وقال ابن فارس :

(١٢) العين : ٥/ ١٥٥ – ١٥٧ .

(١٣) الجمهرة : ١/ ٢٦٩ – ٢٧٠ .

الباء والراء والقاف : أصلان تتفرع الفروع منهما : أحدهما لمعان الشيء ، والآخر اجتماع السواد والبياض في شيء ، ومابعدذلك فكله مجاز ومحمول على هذين الصلين ..

والبارقة : ضوء برق السيوف . والبارقة : سحابة فيها برق .. والعرب تقول : هو أعذب من ماء البارقة .. وقال اليزيدي : برق وجهه بالدهن يبرق برقا ، وله بريق ..ويقال للسيف ولكل ماله بريق : إبريق ، حتى انهم يقولون للمرأة الحسناء البراقة : إبريق .. والإبريق معروف ، وهو من الباب (١٤).

وجمع ابن منظور ماورد في تركيب (برق) في التهذيب والصحاح فكان من حصيلة ذلك الجمع بشواهده :

البرق : الذي يلمع في الغيم . وسيف إبريق : كثير اللمعان والماء ، قال ابن أحمر :

تعلق إبريقا وأظهر جعبة   ليهلك حيا ذا زهاء وجامل

ولإبريق : السيف الشديد البريق ... وجارية إبريق : براقة الجسم . وقيل الإبريق – في بيت ابن أحمر – : قوس فيه تلاميع ... والابريق : اناء ، وجمعه أباريق ، فارسي معرب ...شاهده قول عدي بن زيد :

ودعا بالصبوح يوما فجاءت   قينة في يمينها إبريق

وقال كراع : هو الكوز .. وقال أبو حنيفة مرة : هو الكوز ، وقال مرة : هو مثل الكوز . وهو في كل ذلك فارسي .. وأنشد أبو حنيفة لشبرمة الضبي :

كأن أباريق الشمول عشية   إوز بأعلى الطف موج الحناجر

والعرب تشبه أباريق الخمر برقاب طير الماء ، قال عدي بن زيد :

بأباريق شبه أعناق طير الـ   ـماء قد جيب فوقهن حنيف

ويشبهون الابريق أيضا بالضبي ، قال علقمة بن عبدة :

كأن إبريقهم ظبي على شرف   مفدم بسبا الكتان ملثوم

وقال آخر :

(١٤) المقاييس : ١ / ٢٢١ – ٢٢٥ .

كأن أباريق المدام لديهم ظباء بأعلى الرقمتين قيام [١٥]

وعندما ندرس هذه النصوص اللغوية المعجمية دراسة فاحصة نجد أن بعض اللغويين الأوائل وفي طليعتهم الخليل بن أحمد لم يذكروا فارسية الإبريق ؛ وأن من ذكر ذلك كأبن دريد والجوهري لم يأتيا له بشاهد أو دليل .

أما الجواليقي فأستدل عليه ببيت عدي بن زيد العبادي الذي ورد في لسان العرب أيضا ، ولم يتضح لنا ارتباط بيت عدي بفارسية هذه الكلمة ، الا بناء على مازعمت بعض السلف من ان عديا لم يكن يتورع عن استعمال الألفاظ الأعجمية في شعره ، وهو زعم يحتاج إثباته الى كثير من التأمل والتدقيق والتحقيق ، ولن يقبل على اجماله وارساله .

والعجيب الغريب في هذه المسألة ما نشاهده من اتفاق الجميع بلا تردد على تفسير البريق باللمعان والتلألؤ ، وعلى ربط البرق بالسحاب والمطر والماء ؛ وعلى سماع الإبريق وصفا للسيف والمرأة الحسناء ؛ وعلى ورود الإبريق بمعنى إناء الماء في شعر الاستشهاد القديم ، وعلى تكرر استعماله بهذا المعنى في الشعر المأثور وتشبيهه بالضباء تارة وبرقاب طير الماء أخرى .

أقول : الغريب العجيب أنهم قد اتفقوا على ذلك كله ، ولكن هذا الاتفاق لم يمنع اولئك القائلين بعجمة هذه الكلمة من طرح ادعائهم ومن تصديق بعضهم به على نحو الجزم واليقين .

ولزيادة الاطمئنان والوثوق بعربية (الابريق) وأصالتها المؤكدة ينبغي التنبيه على أن هذه الكلمة قد وردت على بناء(افعيل) الذي يشتق في الاغلب من فعل الثلاثي ، وربما من أفعل أيضا كما نص الخليل [١٦] ، وهو بناء كثير الأمثلة والشواهد في العربية ، ويبدو أن المراد به – كما هو مدلول معظم مفرداته – معنى المبالغة والكثرة (فعيل) . وأورد فيما يأتي جريدة بما وقفت عليه في

(١٥) لسان العرب / برق .

(١٦) العين : ٧/ ١٠٥ .

المعجمات من ألفاظ هذا البناء ليزداد الموضوع جلاء ووضوحا ، وإن كنت لا أدعي الا ستيعاب التام والاستقراء الكامل :

(١) سيف إصليت : كثير الماء والرونق ، وقال الخليل : أي مصلت ماض في الضريبة [١٧] .

(٢) الإبريج : الممخضة .

(٣) الإخريج :نبت .

(٤) فرس إخليج : جواد سريع .

(٥) الإستيج : الذي يلف عليه الغزل بالأصابع للنسج .

(٦) ثوب إضريج : مشبع الصبغ . والإضريج أيضا : الفرس الجواد الكثير العرق .

(٧) الإفجيج : الوادي الضيق العميق ؛ بلغة أهل اليمن . وربما سمي الشق في الجبل : إفجيجا .

(٨) الإجليح : نبت اكلت أعاليه وجلحت .

(٩) الإسليح : نبت .

(١٠) الإقليد : المفتاح ؛ بلغة أهل اليمن [١٨] .

(١١) الإزفير : من الزفير وهو النفس .

(١٢) الإسطير : واحد الأساطير .

(١٣) الإبريز : الذهب الخالص ، وقال ابن دريد : لاحسبه عربيا محضا .

(١٤) الإرزيز : صوت مأخوذ من الرز .

(١٥) إبليس : معروف ، قال الخليل : (من ابلسه الله) [١٩] ، وقيل انما منع الصرف للعلمية وشبه العجمة ، لانه (وإن كان مشتقا من الإبلاس فانه لم يسم به احد من العرب ، فصار خاصا بمن أطلقه الله عليه) [٢٠] .

---

(١٧) المصدر نفسه .

(١٨) وزعم الجواليقي ان الاقليد والمقليد : المفتاح ، فارسي معرب (المعرب : ٣١٤) مع أن الكلمة قرآنية فصيحة زنة ومعنى .

(١٦) إدريس سمي بذلك لكثرة دراسته كتاب الله جل وعز ، واسمه أخنوخ .

(١٧) رجل إلبيس : أحمق تلتبس عليه اموره .

(١٨) أرض إمليس : واسعة صحراء .

(١٩) الإحريض : صبغ أحمر ؛ أو هو العصفر .

(٢٠) الإغريض : الطلع .

(٢١) الإخريط : نبت .

(٢٢) الإعليط : وعاء ثمر المرخ .

(٢٣) سيف إبريق : كثير الماء . وجارية إبريق : براقة الجسم . والإبريق المعروف .

(٢٤) الإفنيك : طرف اللحين .

(٢٥) ظليم إجفيل : يجفل من كل شيء .

(٢٦) الإحليل : مخرج البول واللبن .

(٢٧) حمار إزعيل : نشيط .

(٢٨) الإزميل : الشفرة التي تكون للحذاء .

(٢٩) إسبيل : موضع .

(٣٠) الإكليل : ما كلل به الرأس ؛ أي التاج .

(٣١) الإنجيل : أحد كتب الله تعالى ، مشتق من النجل (وهو الأصل ، وهكذا يقول جميع أهل اللغة) (٢١) .

(٣٢) الإبزيم : إبزيم السرج والمنطقة ونحوهما .

(٣٣) إخميم : موضع .

---

(١٩) العين :١٠٥/٧ .

(٢٠) البحر المحيط لابن الأندلسي : ١ / ١٥١ . ويراجع في هذه المفردة ايضا : العين : ٧ / ٢٦٢ والمقايس : ١ / ٣٠٠ والصحاح / بلس والمعرب : ٢٣ .

(٢١) معاني القرآن للزجاج : ١ / ٣٧٥ . ويراجع في هذه الكلمة أيضا : المقاييس : ٥ / ٣٩٦ والصحاح / نجل والمعرب : ٢٣ - ٢٤ والبحر المحيط : ٢ / ٣٧١ .

(٣٤) إزميم : موضع ، وإزميم ليلة من ليالي المحاق .

(٣٥) الإقليم : واحد أقاليم الأرض [٢٢] .

وبعد :

فهذا هو (الإبريق) في جذره الفصيح المليح ، وهذه هي أقوال اللغويين فيه ، وتلك هي شواهده الماثلة في الشعر العربي المأثور منذ عصور الاستشهاد ، وذلك هو بناؤه الأصيل كما أكدته أمثلته الكثيرة المتقدمة . فهل بقي ، في ضوء ذلك كله ، ما يمكن أن يصحح الاصرار على التردد في عربية هذه اللفظة وغيرها مما جاء على وزن إفعيل في القرآن الكريم ، سيرا وراء من توقف فيه من السلف سهوا وغفلة ، أو صرح به اتباعا لمن سبقه من الزاعمين المتوهمين ؟ ! .

(٢٢) رجعنا في إعداد هذه الجريدة الى جمهرة ابن دريد : ٣ / ٣٧٦ – ٣٧٧ وديوان الأدب للفارابي : ١ / ٢٧٨ – ٢٧٩ و٣ / ٤٩ .